

مناهج نقدية عصرية

المناهج البنوية

التعريف:

تشقق البنوية عادة من مصطلح "البنية" كمصطلح جوهري للمنهج البنوي. و أشهر تعريف متداول للبنية هو أنها: "نظام من التحولات" تحكمها 3 مبادئ أساسية:

- **مبدأ الشمول:** حيث تتكون كل بنية من عناصر تتجلى قيمتها فيما تنسجه من علاقات محكومة بقوانين كلية و منظمة لتفاعلاتها و صلاتها، و بهذا اعتبرت البنوية العلاقات بين العناصر أهم من العناصر نفسها.
- **مبدأ التحولات:** حيث تكمن خواص البنية في كونها مجموع تحولات دائمة تنتج عنها أشكال من التفاعل، تنقل النظام من سكونيته إلى حركيته المولدة لأشكال لا نهائية.
- **مبدأ التنظيم الذاتي:** حيث تنظم البنية نفسها بنفسها، و تتضمن قوانين تحكم في تنظيم عناصرها، لذا فالتحولات تخضع لضبط ذاتي يحقق للبنية انغلاقها و توازنها.

السياق:

ظهرت البنوية في منتصف العقد الثاني من القرن 20 في مجال الدراسات اللغوية مع رائدها "فيرديناند دوسوسير"، حيث أحدثت قطيعة مع المناهج القديمة في تحليل اللغة و دراستها و اصطنعت أدوات و مفاهيم جديدة و إتخذت اللغة موضوعا لاستغلالها حيث تدرستها في ذاتها و لذاتها، أي كبنية مغلقة من دون اعتبارات خارجية كطروف نشأتها و علاقاتها بالظواهر الاجتماعية و التاريخية. و قد لاقى هذا المنهج البنوي نجاحا كبيرا في المجال اللغوي و ترحيبا حارا من طرف العديد من الباحثين الذين استلهموا أدواته في دراسة الظواهر الاجتماعية و الأدبية و النفسية و غيرها... و كان النقد الأدبي أول من تأثر بهذا المنهج و استفاد منه بحكم التقدم الذي أحرزته البنوية في مجال الدراسات اللغوية التي تلثقي مع الدراسات الأدبية في موضوع اللغة.

و قد كان الانتقال من البنوية اللغوية إلى البنوية الأدبية نتيجة طبيعية للإنخراط الواسع للنقد الأدبي في استثمار نجاح البنوية في الدراسات اللغوية بهدف تمكين الدراسات الأدبية من إحداث قطيعة مع مناهج النقد الاجتماعي و النفسي و التاريخي التي أهملت دراسة الأشكال الفنية و الأدبية لذاتها رغم الدور الذي يلعبه الأدب في عكس المضامين الاجتماعية و النفسية و غيرها، و لهذا فقد لعب النموذج اللساني في تحليل اللغة دورا كبيرا في تشجيع سائر العلوم الإنسانية على إعادة بناء موضوعاتها على أساس اللغة.

و يمكن اعتبار كل الاتجاهات النقدية الأدبية التي تسعى للكشف عن نظام النصوص الأدبية و كيفية بناء معانيها اتجاهات بنوية، و من هذه الاتجاهات في النقد الأدبي:

- **جماعة الشكلانيين الروس:** اهتمت بالبنى الشكلية للأدب و بحثت عن الخصائص المشتركة في الأعمال الأدبية.
- **البنوية التكوينية:** ترى أن العمل الأدبي ليس بنية لغوية مغلقة و إنما مفتوحة على البنى الاجتماعية المؤثرة لها.

لقد ركز البنويون في بحثهم في مجال الأدب على الأنظمة اللغوية و مدلولاتها الأدبية، و الشيء الذي يجمعهم في نظرهم إلى الأدب هو دفاعهم عن خصوصية الأدب و استقلاله بموضوعه و مادته اللغوية، حيث يشكل قيمة في حد ذاته بفضل التفاعل بين علاقات عناصره و مستوياته اللغوية، و كلها مكونات داخلية للنص الأدبي يسعى البنويون إلى تحليلها تحليلا لغويا للكشف عن خصوصية الإبداع الأدبي من شكله و محتواه الفني الداخلي مع إهمال مصدره و ظروفه و بيئته.

الخصائص:

ينطلق المنهج البنوي من التركيز على أدبية الأدب و ليس وظيفته، أي أنه يهتم بتحديد الخصائص التي تجعل من الأدب أدبا، و ذلك عبر دراسة العلاقة بين الوحدات و البنى الصغرى داخل النص من أجل تحديد البناء الكلي الذي يجعل النص موضوع الدراسة أدبا. و يتم التركيز في هذا على المستويات التالية:

- **المستوى الصوتي:** تدرس فيه الأصوات و رمزيته و تكويناتها الموسيقية
- **المستوى الصرفي:** تدرس فيه الوحدات الصرفية و وظيفتها في التكوين اللغوي
- **المستوى المعجمي:** تدرس فيه الكلمات و الوحدات المعجمية من حيث خصائصها الحسية
- **المستوى التركيبي:** يدرس فيه تركيب الكلام و بنائه وفق نظام نحوي
- **المستوى الدلالي:** تدرس فيه المعاني و الحقول الدلالية و العلاقات بين الكلمات
- **المستوى الرمزي:** تدرس فيه الإيهامات و الإشارات الضمنية لاستعمال اللغة في العمل الأدبي

يمكن القول إذا أن المنهج البنوي يتعامل مع اللغة التي تمثل المادة المكونة للأدب، فالأدب في تصويره نظام لغوي قبل أن يكون أفكارا و آراء و مشاعر، و من ثم فالبنويون يرون أن مقارنة الأدب و تحليله بمنهج علمي ينبغي أن تنطلق من اللغة لا من عناصر و عوامل خارج هذه اللغة.

المناهج الاجتماعية

التعريف:

"المنهج الاجتماعي" في الأدب هو المنهج الذي يعتمد إلى دراسة النصوص من منظور مدى تعبيرها عن الوسط الاجتماعي الذي أنتجها، و بذلك يتعامل مع الظاهرة الأدبية في صلتها بشروط إنتاجها الاجتماعي و ليس بوصفها ظاهرة مستقلة. و تتم هذه الدراسة بالاستفادة من أدوات الدراسات الاجتماعية في معالجتها للظواهر الإنسانية و الحالات الاجتماعية المختلفة. و بهذا المعنى فإن علم اجتماع الأدب يبحث أساسا عن العلاقات التي تربط الإبداع الأدبي بالشروط الاجتماعية المؤثرة له عبر تتبع الخلفيات الاجتماعية المتحركة في إنتاجه و استهلاكه.

السياق:

لقد ظهر المنهج الاجتماعي في الأدب كحصيلية تطور عدد من المناهج و الدراسات الأدبية و النقدية كالمناهج التاريخية و النفسية و لسانيات النص و سيميولوجيا الأدب و أنثروبولوجيا الأدب. و كلها اتجاهات اهتمت بالعمل الأدبي و بحثت في خصائصه و وظيفته، و قد صارت بتأثير من المنهج الاجتماعي لا تكفي بالوقوف عند المستويات الشكلية الداخلية للعمل الأدبي التي تعود إلى الاستعمال الفني للغة، بل تتجاوز ذلك إلى البحث في الأبعاد الاجتماعية لهذا العمل الأدبي. و يمكن القول هنا أن المنهج الاجتماعي يتوسل بالمناهج الأخرى في كشفه لتلك الأبعاد حيث يلج على الصلات و العلاقات بين العناصر الاجتماعية و النفسية و التاريخية و السياسية و الثقافية في العمل الأدبي، مع تركيزه على تفسير طبيعة العلاقة الموجودة بين البناء الفني للأدب و البنية العامة للمجتمع.

إن الأدب بهذا المعنى لا يؤدي وظيفته إلا حين يكون مرآة تعكس الحياة الاجتماعية في مختلف أبعادها و علاقات الصراع الدائرة فيها. و قد ظهر في هذا السياق ما سمي بـ "نظرية الالتزام في الأدب"، و التي تعتبر الأدب حاملا لرسالة و موقف اجتماعي يعبر فيه عن رؤيته الخاصة لبيئته، بوصفه فردا غير معزول عنها، و ينتمي إلى طبقة اجتماعية لها مصالح و تطلعات و طموحات في واقع اجتماعي مطبوع بالصراع.

و من أبرز الباحثين في موضوع علم اجتماع الأدب، نذكر الناقد الغريبن "جورج لوكاتش" الذي أكد على أهمية رصد التفاعلات بين الأجناس الأدبية و التطور الاقتصادي و الاجتماعي، و "لوسيان غولدمان" الذي أبرزت أعماله النقدية مفاهيم جديدة في النقد الاجتماعي كمفهوم "رؤية العالم" الذي يعنى وعيا جماعيا لمجموعة اجتماعية يعبر عنه الأدب في شكل من الأشكال التعبيرية للغة. إضافة إلى بعض النقاد العرب كـ "محمد بندور + غالي شكري + نجيب العوفي" الذين وظفوا المنهج الاجتماعي في قراءتهم للأعمال الأدبية.

الخصائص:

إن علم اجتماع الأدب يدرس العمل الأدبي باعتباره نتاجا لفعل مجتمعي، ينتجه فاعل اجتماعي هو الأدبي، و يتوجه به إلى جماعة في سياقات اجتماعية ما، و من هنا يحمل العمل الأدبي أهمية بالغة في تحليل العلاقات القائمة بينه و بين المجتمع، و يؤدي دورا كبيرا في حركية المجتمع.

و ينطلق هذا المنهج من مبدئين:

- الأدبي لا يعيش معزولا عن بيئته و وسطه الاجتماعي
- الإنتاج الأدبي ليس منفصلا عن السياق الاجتماعي الذي يظهر فيه

و بناء على هذين المبدئين يتم النظر إلى الأدب من زاويتين متقابلتين:

- الأدب صورة عن المجتمع يعكس علاقاته الاجتماعية و يتبنى موقفا منها و من الصراع الدائر فيها
- الأدب موجه إلى الاستهلاك الاجتماعي و التأثير في مستهلكيه بتشكيل أدواقهم و تغيير سلوكياتهم

لقد ساهم النقاش الواسع حول صلة النص الأدبي بنشأته و محيطه، و ظروف إنتاجه و تلقيه، في تطوير أدوات توظيف المنهج الاجتماعي، فتجاوز فكرة إسقاط الواقع الخارجي على النصوص الأدبية و إفرغها من خصوصياتها الأدبية و الفنية. و يتأتى ذلك بالبحث عن العلاقة بين البنى الأدبية و البنى الاجتماعية التي تتسم بالدقة و التعقيد نظرا للاتصال الوثيق بين الأعمال الأدبية و الشروط الاجتماعية و التاريخية و الثقافية التي أفرزتها. و هذا يؤكد أن المنهج الاجتماعي لا يقف عند حدود الوصف و التفسير، بل يتعدى ذلك المستوى إلى فهم الأعمال الأدبية و تحليلها و الكشف عن أثرها الفني و الجمالي الذي تحدته في المتلقي.